الحركات في مخاطبة التباين البعيد في العالم العربي، وفي خروج مجالها الفكري من برجه العاجي. أياً كانت الاسباب، فإنه لمن دواعي القلق بالنسبة لكل الذين يودّون أن يروا الحركة تنتشر على المستوى الشعبي. في رأيي، إن لم يتمّ تغيير النخبوية داخل الحركة لتشمل نساء من بيئات إجتماعية مختلفة وثقافات متباينة، سيكون ذلك مع الوقت أحد الاسباب الرئيسية لعزلتها في المستقبل وربما زوالها.

٨. راجعوا جوابي تحت رقم ٢.

٩. يجب أن نكون متواضعين إلى حد أن نعترف بان الانجازات الفردية، مهما كانت عظيمة، لا يمكن أن تكون مقياساً صحيحاً لنجاح حركة عامة كحركة النساء العربيات. إذا أخذنا هذا التحفظ بعين الإعتبار يمكننا أن نقول «نعم» من المحتمل جداً ان يكون عدد من عضوات الحركة قد بذلن كل ما في وسعهن لتغيير العلاقات والممارسة الجندرية على نطاق حياتهن الشخصية والعائلية. ولكن هذا لا يعني أنهن إستطعن أن يحققن مساواة جندرية كاملة في أسرهن. عضوات الحركات النسائية العربية يعشن ويعملن داخل بيئة إجتماعية معينة؛ والطريقة الوحيدة لجعل نضالهن الشخصي مؤثراً هي تغيير البنية الاجتماعية التي تسمح بأن يكون عدم المساواة في العلاقات الجندرية مقبولاً اجتماعياً.

١٠. هذا سؤال جيد لأنه متصل بنقد الذات الذي تكون الحركة ككل في أشد الحاجة إليه. لسوء الحظ تمّ السكوت طويلاً عن قضايا النساء في الاقليات غير الناطقة باللغة العربية نتيجة الترابط السياسي بين الحركة النسائية العربية ومشروع القومية السياسي في المنطقة. أظن أن الوقت قد حان لأن تعي الحركة أهمية إستقلالها. ولكن هذا لا يدرك إلا إذا تحررت من كونها صدى خطاب مسيطر للطبقة الحاكمة و/او الاحزاب السياسية. هذه هي أيضاً الطريقة الوحيدة لوضع نهاية لمحاولات استخدام «مسألة النساء»كورقة في المناورات السياسية، كما حصل في الجزائر وغيرها من بلاد ما يسمى العالم الثالث خلال النصف الثاني من القرن الماضي. أظن أن أحد أهم الاشياء التي يجب عملها الآن هو تأسيس ثقة متبادلة بتقوية التضامن بين نساء من بيئات لغوية وثقافية و/أو إجتماعية مختلفة. هذا، في رأيي، يجب أن يكون ضمن حدود وحدة العالم العربي.

١١. أظن ان المصطلحات ليست هي المشكلة في تعريف الحركات النسوية في العالم العربي. ما يهم حقاً هو مضمون الحركة، وأنها لن تصبح نسخة لإشكال نسوية سائدة قد يكون لها جدول اعمال مختلف عن ذلك الذي تحتاج اليه النساء في مكان وزمان معينين. ما تطالب به النساء حقاً في العالم العربي والاسلامي اليوم هو تطوير نوع من النسوية التي لا تنكر حق النساء في أن يكون لهن «خيالهن النسوي» الخاص، وخيارهن الخاص لإدراك المساواة الجندرية، وحقهن في الاعتزاز بهويتهن الثقافية.

١٢. يؤسفني أن أقول أن تأثير معظم تصريحات الامم المتحدة المتعلقة بالنساء كان تأثيراً محدوداً جداً، وإلى الان لم يتعدَ معظمها كونها دعاية. وستستمر هذه الحالة في رأيي إلا إذا اتخذت إجراءات صادقة وعملية لحماية النساء من إنتهاكات وطنية او دولية لحقوقهن، سواء اتخذت هذه الانتهاكات صورة الحروب او العنف المنزلي.

١٣. أظن أن إزدياد عدد المهنيات والعالمات والباحثات بين نساء المنطقة العربية دلالة ايجابية جداً على تحرر النساء على المستوى العملي. ولكن لا ينبغي لهؤلاء النساء أن يسمحن بأن تمتصهن المؤسسات الرسمية على حساب أهدافهن النسوية. ازدياد أعداد الحاصلات على التعليم العالي في مختلف ميادين المعرفة يوسع تمثيلهن في المؤسسات الاجتماعية، مما يمكنهن من الكلام وإيصال صوتهن.

١٤. أهم العقبات التي يمكن أن تعرقل تطور الحركة النسائية هو التعصب. بمعنى آخر، لا ينبغي أن تتمسك الحركات النسائية العربية بآرائها القديمة وإنما عليها أن تنفتح على آراء اجيال النساء الشابة وحاجاتهن الجديدة.

١٥. أولاً، أود أن تترك نساء الحركات مكاتبهن وغرف مؤتمراتهن وأن يمشين حافيات في الازقة والشوارع غير المعبدة لكي ينمو فيهن إحساس بالتضامن بين نساء المدينة والريف من بيئات فكرية وإجتماعية مختلفة. ثانياً، أود أن لا تخجل الحركة من التماثل مع وجهة النظر الإسلامية لتحرير المرأة، أي التحرير النسوي المستنير. ثالثاً، أود أن تكون أكثر ديموقراطية وأقل نخبوية ومركزية. وأخيراً، أود أن لا تكف عن الحلم، لأن الحلم أحد أفضل الطرق لتجديد نشاطها، وأن تترك الهواء النقي يحل محل الأكسيجين المحروق.

الهوامش

1. Sahgal, Gita and Nira Yuval-Davis, eds.(1992) *Refusing Holy Orders* (London: Virago)
2. Ahmad, Leila(1992) *Women and Gender in Islam* (New Haven: Yale UniversityPress)' Ali, Nasreen (1998) "Essentializing Inessential Women" unpublished paper, Manchester' Sayyid, Bobby (1997) *A Fundamental Fear: Eurocentrism and the Emergence of Islamism* (London and New York: Zed Books).

ندج العلي

محاضِرة في الانثروبولوجيا الاجتماعية في معهد الدراسات العربية والاسلامية، جامعة إكزيتير (المملكة المتحدة). عضوة في نساء يرتدين السواد (لندن) وعضوة مؤسسة لحركة لنعمل معاً: النساء ضد الحرب والعقوبات المفروضة على العراق.

١. أكثر ما نجحت فيه الحركات النسائية العربية هو تحسين أدوار النساء وأوضاعهن في «المجالات العامة»، التعليم والعمل والمشاركة السياسية. كثيراً ما اتفقت أهدافها في هذه المجالات وأهداف المصلحين من الرجال الذين اتبعوا نماذج التحديث. إلا أنها كانت أقل نجاحاً في إقامة الارتباط بين الحياة الشخصية والسياسة، وفي تناول القضايا الجندرية داخل ما يسمى بالمجال الخاص.

أما أهم اخفاقاتها، في نظري، فهي انها لم تبنِ على انجازات سابقة، ولم تعقد أحلافاً مؤثرة بين فئات في بلد معيّن، مثل مصر، بالاضافة إلى أحلاف مع نسويات في بلاد أخرى عربية ، آسيوية وافريقية.

٢. لا حاجة إلى نسوية غربية لترى الظلم وعدم المساواة في أي جزء من العالم. فالنساء في كل أنحاء العالم يواجهن التمييز، فبالاضافة الى مشكلات عامة تتعلق بالفقر والحرب تواجه النساء مشكلات خاصة بجنسهن. هذا لا يعني الوقوع مجدداً في جعل التمسك بالعناد عاماً وفي النموذج المتعالي القائل بأن «الأخواتية النسائية معولمة»، وإنما أن نعترف بأننا بحاجة إلى التخلص من انشقاقات خطرة. لسبب ما (في الواقع اننا نعرف السبب) لم يثر هذا حقاً بالنسبة للحركات الاشتراكية والماركسية والتجمعات السياسية.

بداية، ليست النسوية الغربية شيئاً واحداً وقد تتأثر الحركات النسائية العربية ببعض مبادئها، مثلاً حق النساء الليبيراليات بالنشاط في مقابل النسوية الراديكالية. ثانياً، لقد ناضلت العربيات تاريخياً للحصول على بعض الحقوق وتغيير ايديولوجيات وعلاقات جندرية موجودة، كما فعلت النساء في العديد من البلاد التي ليست غربية. ثالثاً، ظهرت أنواع كثيرة من الأفكار والحركات في الغرب، من الدولة القومية إلى الفكر الماركسي. فما هو الخطأ في تبني أفكار و/أو سياسات معينة وترجمتها إلى الواقع الإجتماعي والثقافي والإقتصادي والسياسي الخاص؟ تاريخ الإنسانية هو تاريخ لقاء وتبادل.

وأخيراً، معظم النساء العضوات في الحركات النسوية في الغرب ينتقدن حكوماتهن وسياساتها إنتقاداً شديداً. وليس هذا الإنتقاد مقصوراً على القضايا النسائية في المجال الوطني الخاص، بل كثيراً ما يتناول السياسة الدولية. بصفتي من أصل عراقي وأعيش في المملكة المتحدة، مثلاً، يثير مشاعري دائماً عدد النساء البريطانيات اللواتي لا يربطهن شيء بالعراق أو بفلسطين إلا أنهن متحمسات جداً وبعيدات التأثير في نضالهن ضد الحرب، ضد الاستعمار وضد الظلم.

٣. هذا السؤال معقد جداً ويحتاج إلى جواب طويل جداً. العوامل التي تعلل إنتشار الأصولية الدينية تشمل سلسلة أزمات اقتصادية، اخفاق الحكومات والأحزاب العلمانية في تحقيق التقدم والبحبوحة للجميع، حرب ١٩٧٦ والفظاعات التي ترتكبها الحكومة الاسرائيلية، مشاعر كره الغرب المرتبطة بالصهيونية ومساندة الولايات المتحدة لها، السياسات الإستعمارية التي تنتهجها الولايات المتحدة وغيرها من البلاد الغربية، وفساد الأنظمة الحالية وقمعها.

ليس من الضروري أن تكون الصحوة الدينية بحد ذاتها مناقضة لحقوق النساء. ولكن، في رأيي، أن أي شكل من أشكال التطرف الديني، سواء كان في المسيحية أو اليهودية أوالبوذية أو الاسلام (أو أي دين آخر) يشكل تهديداً للنساء والحركات النسائية. تستخدم النساء رموزاً للطهارة والأصالة، وعادة يقيّد مظهرهن وحركتهن وسلوكهن تقييداً شديداً.
لا أظن أن أي دين من الاديان يستطيع أن يقدم أساساً طويل المدى للنضال في سبيل حقوق النساء، ولكنني أفهم أنه قد يكون ضرورياً أو نافعاً أن يُلجأ إلى الدين في بعض الظروف.

٤. التعددية بحد ذاتها ليست حسنة أو سيئة. يتوقف ذلك إلى حد بعيد على إستخدام الموارد والنشاطات استخداماً حسناً أو على كون التجمعات النسائية تضيع جهودها بأن تعمل في كل مكان من غير تركيز. حسب خبرتي في مصر، لم تكن المشكلة في تعددية الأنشطة، بل في «إعادة اختراع الدولاب» وإنعدام التنسيق. بكلمات أخرى، تبدأ التجمعات والمنظمات المختلفة مشاريع معينة من غير أن تبني على عمل تجمعات أخرى سبقتها. ثم أن الأنشطة جاءت أحياناً نتيجة التمويل المتوفر أكثر مما جاءت نتيجة حاجات تمّ التفكير فيها بعمق.

مثالياً، يمكن الحركات النسائية العربية (شأنها في ذلك شأن الحركات النسائية في أي جزء آخر من العالم) أن تعمل على مستويات وقضايا عديدة في وقت واحد، بما أن عدم المساواة الجندرية تتخلل كل مظاهر الحياة. على ضوء النقص الشديد في الموارد الانسانية (بسب صغر حجم التجمعات النسائية نسبياً) وفي بعض البلاد في التمويل (ولكن ليس في مصر) لا بد من تعيين الاولويات.

٥. نعم، إن قوانين العائلة في معظم البلاد العربية تؤثر في